فيلم "بربريان ساوند ستوديو"

قَدَرٌ صوتي

مع دراما قَدَرية مستوحاة من أفلام الجاللو، حول مهندس صوت انكليزي يأتي منفرداً إلى إيطاليا، يثبت بيتر سترايكلاند نفسه موهبةً إخراجية بريطانية جادة

ترجمة: عباس المفرجي

قبل ثلاث سنوات، استوقفنا المخرج بيتر سترايكلاند بعمله الأول "كاتالين فارغا"، دراما انتقام مخيفة تدور في ريف وسط أوربا. وكما كان لافتا للنظر، لم يكشف ذلك الفيلم عن أي دليل يشير لهذا الفيلم الاستثنائي الذي تلاه: مميز بكل معنى الكلمة، وغير قابل للتصنيف، وموزيك كونكرَت [موسيقى مبنية على خليط من أصوات مسجلة] كابوسية، مع آثار غريبة الذوق لكوميديا سوداء. انه قَدَري على نحو جاد وجيد على نحو جاد.

يؤدي توبي جونز دور مهندس صوت هادئ يدعى غيلدروي من مدينة دوركنغ في سبعينيات القرن الماضي: حصل على وظيفة في ايطاليا في ستوديو ما بعد الإنتاج اسمه بربريان ساوند ستوديو، على عنوان الفيلم. هذه التسهيلات تقع في روما، لكن لا شيء من الضجة التي يثيرها مهوسو السينما المنتشين بتاريخ التشيناتشيتا وما شاكل ذلك. هذا المكان الرخيص، الزري يزود بالموسيقى الالكترونية، مؤثرات الصوت ودبلجة الحوارات أفلاما رخيصة بميزانية واطئة – نوع الجاللو [الأفلام الصفراء (بالايطالية)] الذي أشتهر على يد داريو ارجنتو: جنس، عنف وعبادة الشيطان. مع ممراته الطويلة القذرة، والصرخات المتكررة والمبهمة، يشبه المبنى مصحة نفسية.

شاعرا بالوحدة، والحنين للوطن، يجد غيلدروي نفسه منشغلا بفيلم رعب يدعى "الدوّامة الفروسية". في الأستوديو نفسه، يقلّد الشباب الضجرون صوت الوحشية البشرية بضرب وطعن الخضراوات، بينما تطلق الشابات صرخات اوبرالية في حجيرة الصوت. يُجابَه غيلدروي بمنتج الفيلم النكد فرانتشيسكو (كوسيمو فوسكو) والمخرج الأنيق الفاسد سانتيني (انتونيو مانتشينو)، وغيلدروي يربك ويزعج الجميع بانكليزيته الخرقاء وإصراره الأحمق على أن يكون معوّضا عن نفقاته، قضية ستثير في النهاية أسئلة غير متوقعة. لكن كيف حدث أن حصل على وظيفته هناك؟ غيلدروي هو صفقة رابحة بقدرته على ابتكار مؤثرات جديدة، لكن هذا قد لا يكون السبب الوحيد في توظيفه. شيئاً فشيئاً، يصبح مغمورا في الرعب الحسّي المحض للصوت: الصرخات، الصرير، الرّنات والقرقعات، الوخزات الكهربائية المفاجئة، الصمت المغبرّ الذي ينشأ عن خوفه الباطني. على طاولة المكساج، هو في جزء منه كاهن أعلى، وفي الآخر ضحية بشرية في القداس الأسود للإنتاج السينمائي.

في "بربريان ساوند ستوديو" شيء من أفلام لينتش وبولانسكي الأولى، والأستوديو القذر، المفعم بالأسارير يشبه قليلا الغرفة المعذبة الواقية في فيلم بأول "بيبنغ توم"، لكن هذا لا يعطي فكرة حقيقية عن الكيفية التي يكون بها هذا الفيلم متفردا بشكل واضح. في الحقيقة، انه مستوحى من عالم الالكترونيات والابتكارات التركيبية ومن الراديوفونيك وركشوب في البي بي سي في ذروته، وهو قريب روحيا من عمل كافكا "القلعة" أو من التقاليد القوطية لأدب برام ستوكر وآن رادكليف: عالم انكليز ابرياء في الخارج، في مشاهد حسّية، غامضة.

يرينا سترايكلاند على الشاشة الوحدات الافتتاحية لفيلم " الدوّامة الفروسية "، المصنوعة ببراعة خبير بالطبع، لكن هذا بعيد عن الطريقة الرقيقة الاحتفالية لأفلام كوينتن تارانتينو وروبرت رودريغز. يمكن ان يكون الأمر، إن الذي يشاهد هذا سيتوقع فيلما يحاكي "الدوّامة الفروسية" – لكن ذلك سيكون، كما أعتقد، قراءة مغلوطة للروح المنفصلة، المبعَدَة والباردة التي عولج بها الفيلم هنا. أحداث الفيلم، الذي يعمل غيلدروي عليه، لم تُعرَض على الشاشة أبدا: نحن نرى فقط الخضراوات المهروسة والمقطّعة، رموز العنف، الهزلي والبربري. ما هو أكثر أهمية هنا هو الصوت وكل المعدات السحرية لخلق مؤثرات الصوت والتلاعب بها. يُشرِب سترايكلاند هذا العالم ما قبل الديجتالي بعاطفة وسحر. هذه هو صوت متناظر، صوت يملأ فضاءً في عالم واقعي، مادة تتشكّل مثلها مثل الصبغ أو الحجر أو الرخام.

فيلم واحد معروض، بغرابة، على الشاشة وذلك هو عمل غيلدروي الأول، الفيلم الذي يعتبره هو تحفته الفنية: فيلم تاريخ طبيعي وثائقي حول مدينة دوركنغ والساوث داونز، ذكي، مفصّل، مشبوب العاطفة إنما مسكّن. إقحام هذا الفيلم الوثائقي في هذه الدراما الباطنية عن الانهيار العقلي لغيلدروي هو لحظة عظيمة. انه يؤمن بأن هذا العالم سيكون لطيفا ومريحا، والرسائل المثيرة للمشاعر من أمه تثبّته يوميا في هذه الرؤية وفي ازدرائه المتنامي للعالم الذي يجد نفسه الآن فيه. لكن هل من الممكن أن يقول سانتيني و" الدوّامة الفروسية " شيئا أكثر صراحة عن العالم الطبيعي؟ في النهاية، ليس واضحا على الإطلاق إن كان "بربريان ساوند ستوديو" يُفسد غيلدروي أو يكشف له عن قدره الحقيقي المرعب. مع وجه يوحي بالبراءة الملائكية، بقابلية الانجراح والقسوة، يقدّم لنا توبي جونز أداءً هو القمة في مسيرته الفنية، ويظهر بيتر سترايكلاند مخرجا بريطانيا مهم بين جيله.

عن صحيفة الغارديان

كلاكيت

■ علاء المفرجي

الدراما التلفزيونية

الكم الكبير للأعمال الادرامية المحلية في هذا الموسم، والموسم الذي سبقه لا يعني أن هذه الدراما أصبحت طرفا منافسا للأعمال الدرامية العربية على الرغم من أن التطور الكمي لها يعد خطوة مهمة باتجاه تأكيد الحضور في المشهد الدرامي العربي، وتأسيس صحيح لصناعة الدرامى.

ولأن الدراما التلفزيونية إلى جانب الرياضة أصبحت من الأجناس البرامجية التي تحقق نسب مشاهدة عالية وموارد إعلانية كبيرة فقد اكتسبت أهمية كبيرة بالنسبة للمحطات، وكان لتنامي البث الفضائي دور مهم في بروز تنافس شديد كان سبباً في الارتفاع الملحوظ في حجم البث والإقبال الدرامي لسد احتياجات البرمجة.

فما زالت الدراما المحلية تعاني أكثر من مشكل يحد من انطلاقتها ولعل النص الدرامي الذي هو حجر الزاوية في الدراما التلفزيونية يقف بوصفه العنصر الأهم المفتقد، وان كان ذلك لا يعني تجاهل أعمال درامية حظيت باهتمام من قبل الجمهور، اعتنت بهذا الجانب من الصنعة الدرامية.. ولأول مرة أصبحنا نتحدث عن كتاب متخصصين في مجال الدراما التلفزيونية تتوافر في أعمالهم شروط كتابة دراما ناجحة، ونشير هنا إلى أسماء مثل حامد المالكي وباسم شبيب وضياء سالم وآخرين.

ولعل أهم عائق كان يقف في طريق انطلاق الدراما العراقية على مدى أكثر من ثلاثة عقود هو الرقابة وشروطها المتعسفة، التي كانت بمثابة سيف ديمقلس المسلط على كل صنوف الإبداع، خاصة إذا ما عرفنا أن حرية التعبير هي أولى ملامح التفوق في الدراما التلفزيونية.

وفي السنوات العشرة الأخيرة تخلص كتاب الدراما من مثل هذا العائق لكنهم لا شك وجدوا أنفسهم أمام رقابة أخرى فرضتها ظروف اجتماعية وسياسية جديدة تسهم بلا شك في تقييد حرية إبداعهم.

والعائق الآخر يتعلق بكتابتها (أي الدراما) وأعني به هنا كتابة السيناريو الذي ما زال يعاني نقصاً في الحرفية وعدم الإلمام بالشروط الأساسية للكتابة الدرامية.. وهو بالنتيجة فن لا يمكن أن يتعاطاه إلا أصحاب الموهبة.

من هنا ومع التطور الكمي في حجم الدراما المحلية لا بد من الوقوف عند عدد من العوامل التي من شأنها النهوض بالإنتاج الدرامي كماً ونوعاً، منها حشد الإمكانات البشرية والفنية للدخول في حومة المنافسة مع الإنتاج الدرامي العربي، خاصة مع تطور طاقة الإنتاج الدرامي في معقله الأساس مصر، الذي هو المصدر الأهم للمحطات العربية الأخرى من هذه المادة البرامجية، وأيضاً مع بروز أقطاب إنتاجية جديدة في عدد من البلدان مثل سوريا وبلدان الخليج العربي..

العامل الآخر المهم يتعلق بمنح التسهيلات من قبل الدولة لنشاط شركات الإنتاج الخاصة ووضع ضوابط لدخولها في عمليات شراكة مع القنوات الفضائية المحلية بما يسهم في رفع وتيرة إنتاجها كماً ونوعاً.

والأمر المهم الآخر يتعلق بالخطط التي تضعها الفضائيات المحلية والتي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الدور المتعاظم لهذا الجنس البرامجي في التأثير بوجدان المتلقي في أن تكون منتجا وليس مستهلكا فقط لهذا النوع من البرامج التي اكتسبت أهمية ملحوظة في عصر السماوات المفتوحة.

"أربيتراج" المنتج عربياً في هوليوود يفتتح مهرجان أبوظبي السينمائي

ابوظبي/خاص

يعود مهرجان أبوظبي السينمائي في دورته السادسة بين ١١-٢٠ أكتوبر ٢٠١٢، ببرنامج حافل بأفضل الإنتاجات العربية، إضافة إلى صفوة السينما العالمية الحديثة. وفي دورته لهذا العام يعود المهرجان إلى فندق قصر الإمارات الذي يعدّ واحداً من أبرز معالم أبوظبي.

يسهم مهرجان أبوظبي السينمائي الذي أصبح من أبرز الأنشطة الثقافية في أبوظبي، في تعزيز موقعا لإمارات العربية المتحدة كمركز للإبداع في المنطقة والعالم،وذلك من خلال الاهتمام الذي يوليه للنوعية الرفيعة، وللسينما العربية، ولقدرته على دعم السينمائيين العرب الجدد والمكرّسين. ويعدّ المهرجان نقطة جذب للأوساط الإبداعية في المنطقة والذين يزور الكثير منهم أبوظبي للمرة الأولى، كما يلعب المهرجان دوراً في تحفيزالشباب الإماراتيين على الدخول في مجال صناعة السينما.

يفتتح المهرجان بفيلم "أربيتراج" من إنتاج السعودي محمد التركي، والذي حقق نجاحاً في ردم الهوة في مجال الترفيه بين "الشرق والغرب" وهو يرسخ حضوره حالياً في هوليوود والعالم العربي على السواء. وسوف ينضم إلى التركي في افتتاح المهرجان مخرج الفيلم نيكولاس جاريكي ونجما الفيلم ريتشارد غير ونايت باركر.

"أربيتراج" هو فيلم تشويق يتمحور حول التلاعب بالمحافظ الوقائية، وقد اعتبره النقاد واحداً من أفضل أفلام هذا العام، كما امتدحوا ريتشارد غير لأدائه واحداً من أفضل أدواره الذي قد يقوده هذه السنة إلى أوسكار أفضل ممثل.وعن هذه الدورة الجديدة ، يقول مدير المهرجان علي الجابري: "سوف تكون أبوظبي من جديد محط اهتمام صناع السينما وعشاقها في المنطقة، إضافة إلى المهتمين بالسينما العربية حول العالم"، مضيفاً: "أي طريقة أفضل لإبراز مواهب المنطقة من افتتاح المهرجان بفيلم من إنتاج عربي ومن بطولة بعض ألمع الأسماء في هوليوود؟ إنها بداية واعدة لعشرة أيام من أروع الأفلام".

وسوف تتضمن دورة هذا العام برنامجاً خاصاً عن السينما الجزائرية احتفاء بالذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر. وسوف تعرض مجموعة أفلام ضمن فئات الفيلم الروائي والوثائقي وآفاق جديدة. وسوف تتنافس الأفلام المعروضة ضمن فئة "عروض السينما العالمية" والتي تتضمن مجموعة مختارة من أبرز الأفلام العالمية، على جائزة الجمهور. أما البرنامج الكامل للمهرجان فسوف يصدر في ٢٥ سبتمبر.

"لقد رسخ مهرجان أبوظبي السينمائي حضوره في قيادة السينما العربية، وبرنامج هذا العام سيعزز أكثر هذا الحضور"، أضاف الجابري: "لقد كان هناك تزاحم في الأفلام المرشحة للتنافس على الفئات الخمس للمهرجان، بما يضمن أن أعضاء لجان التحكيم سيواجهون صعوبة في الاختيار بسبب النوعية العالية لجميع الأفلام المختارة".

هذه هي السنة الأولى التي يتم فيها تقديم مهرجان أبوظبي السينمائي بإدارة "تو فور ٥٤"، وذلك في إطار ضم المهرجان إلى المبادرات والفعاليات الإعلامية الأخرى، مما يعزز دور أبوظبي كمركز للإبداع ولدعم الإنتاج السينمائي في المنطقة.

ابن بابل والإشراق السينمائي

سعد ناجي علوان

يجتهد العديد من المهتمين بالفن السابع وعبر تجاربهم الشخصية، إعادة بعض التوازن للحياة الفنية وفرض مكانة السينما العراقية، ودور الفن بشكل عام بعدما لم يتصف تغيير (٢٠٠٣) إلا بعدم الاكتراث لكل ما يدرج تحت طائلة الفن.

وقد ظهر هذا الإهمال بخلو التشكيلات الإدارية المركزية والمحلية للحكومة، من أي مفصل لرعاية الفن والثقافة والعمل على تنميتهما، لتبقى حالات المشاركة الحكومية محاولات خجولة ومبتسرة. مما أرغم الفنان على البحث عن التمويل الخارجي لمشاريعه مع ما للأمر من سلبيات تقارب ايجابياته إن لم تتفوق عليها، مثل الخضوع والتقرب إلى ومن التصورات الأجنبية والبعيدة بالتأكيد عن التصور الأصلي للعمل الفني.

أعتمد فيلم (ابن بابل) على حكاية تميزت بحزمة شحنات عاطفيه تؤطرها المأساة، تبدأ بعد ثلاثة أسابيع من سقوط نظام الطاغية، برحلة الجدة (أم إبراهيم) (شهرزادة حسين) وحفيدها (أحمد)، (ياسر طالب) من الشمال إلى مدينة الناصرية في جنوب العراق للبحث عن ابنها (إبراهيم) المفقود منذ حرب الخليج (١٩٩١) وأخبرت بأنه في سجون مدينة الناصرية، ليصل الفيلم خلال ذلك الى التقرب من تحولات الوجع العراقي، والخوف الذي صار سمة تشاطر الفرد وعيه وحيثيات يومه بالكامل.

لكن هذه الثيمة العميقة جداً قدمت بطريقة خلت من العمق والشروط الجمالية والفكرة مكتفية بالخطابية والسطحية، وكأن السيد (محمد الدراجي) مخرج الفيلم، غريب عما يحدث، فلم يتمكن من التعامل مع ذلك الوجع كما يستحق، واكتفى منه بصورة النواح ووثائقه المقابر الجماعية. كما لم تنفعه مشاركته في كتابة السيناريو إلى جانب (مثال غازي وجنيفر نورج) هل بتنا عاجزين حقاً عن كتابة وجعنا...؟!!

والأغرب أن يصر المخرج الدراجي وهو مصور الفيلم أيضاً على إظهار الرتابة في المجتمع والمفاصل الجغرافية الرثة، فكثيراً ما تنقلب كاميرته ترصد الأوساخ والنفايات في الشوارع و(الكراجات المحلية) والسؤال لماذا، ألا توجد زوايا وطرق أخرى أجمل وأفضل لإظهار الألم والوجع كما هو دونما حاجة لهذه الرثاثة، فالجمال يرافق جميع المفاهيم.

وأبعد قليلاً سنجد التصاغر من قبل الفيلم وصانعه لأجل غاية ساذجة وخاطئة، فلا يجوز أن يظهر الجندي (موسى) (بشير الماجد) شخصية مهزوزة يتذلل للسيدة (أم إبراهيم) طالباً الصفح عما فعله كجندي، وثانية نسأل لماذا؟ فهل كان الطاغية يفرق في ظلمة بين مذهب أو دين أو قومية، وما هو الغرض من جلد الذات؟ وترى من يملك المغفرة؟ ومنذ البدء أخطأ الفيلم كثيراً عندما شخص قومه أبطاله، ولو أظهرهم عراقيون فقط دون تشخيص القومية، لأتسع البعد الإنساني للشخص وللفيلم.

تنتهي رحلة (أم إبراهيم) بالفشل ولا تعثر على أي شيء يشير إلى حياة ابنها أو موته، وكأنه لم يخلق... ألم يتكرر الفعل مع الآلاف من الضحايا، ذهبوا ولم يحصلوا حتى على شاهدة قبر (مثل أخي الأكبر).

فالمقابر الجماعية عنوان كبير لتسلط واستبداد السلطة الغاشمة وليس أرشيفاً منظماً لضحاياها.

وفي طريق العودة، أمام جنائن بابل وفرح حفيدها (أحمد) برؤيتها وتحقق وعد جدته له، تموت الجدة (أم ابراهيم) هل هناك شيء تعود إليه، وعلى (أحمد) أن يعود لدياره بوعيه الجديد (يفترض أن يكون هذا المفهوم جزءاً من الرحلة ثيمة الفيلم).

ساعد الإنتاج المشترك للفيلم (عدة دول) في الحصول على مساحة إعلانية كبيرة ومشاركات دولية ورشح وفاز بالعديد من الجوائز. وبالطبع طغى التعامل الإنساني والسياسي عند تقسيمه للفيلم، وتفضيله لاستهجان الظلم والطغيان في بلد قدر له أن يكون او يقدم كأنموذج للديمقراطية الجديدة في العالم.

ولكن هل كان ذهاب الجدة (أم إبراهيم) و(أحمد) والجندي (موسى) إلى آثار بيت (النبي إبراهيم) عليه السلام في الناصرية، لغاية فنية (لم يحدث ذلك) أم أنها دعاية استشراقية لاسيما وأن المكان على خلاف خارطة الفيلم الجغرافية.

جميل ورائع أن تعود السينما العراقية إلى مصاف الفن السابع في العالم ولكن علينا أن نتعامل بصدق وبجدية لمنحها صفتها الخاصة كسينما عراقية تتحدث عن أحلامنا وآمالنا كما يليق بها.